

مقتطفات من: " الطب النفسي الإيقاعي التطوري " الكتاب الثاني: "المقابلة الطليبيكية: بحث علمي بممارسة فنية" (24)
الفصل السادس: التاريخ العلاقتي (2)

نشرة "الإنسان، 2022/05/29

المسنة الخامسة عشرة - العدد: 5384



yehiatrakhawy@hotmail.com

بروفيسور يحيى الرخاوي - الطب النفسي، مصر

استهلال:

نواصل اليوم هذا النشر المتقطع من هذا الكتاب وآمل أن نُقرأ نشرة أمس قبل متابعة نشرة اليوم التي سنقدم فيها ما تيسر من الفصل السادس.

يحيى

الفصل السادس

التاريخ العلاقتي (2)

الملحق

تناولت تجليات الحب كما انكشف لي عبر رحلة الطويلة حول هذه المسألة بمعظم تجلياتها ومضاعفاتها وروعها وعطائها، فسجلتها شعراً عامياً في ديواني " فقه العلاقات البشرية " الذي اقتطف منه الآن قصيدة واحدة مع شرح على المتن وهو ما غامرت به برغم احتمال تشويه الشعر بشرحه:

القصيدة: قلب الخساية (أو النداهة)

النداهة [2]



المأزق الذي وجدت أن علاء أن أواجهه ونحن نتقدم نحو المزيد من كشف أزمة (أزمات) التواصل في مرحلة تطور الإنسان المعاصر، هو مأزق تناول العلاقات البشرية بعد أن بلغ هذا الكائن الحد الشقي الرائع: هذه الدرجة من الوعاء بنفسه، وبضرورة الآخر شرطاً لتواجده بشراً سويماً، أو ما يسمونه عادة الحب، وبين ما أسميه جدل الموت والحياة، وكلتا القضيتين متعلقتين بدرجة الوعاء (الأمانة) الذي تورط فيها هذا الكائن الخاص جدا المسمى الإنسان.

المأزق الذي وجدت أن علاء أن أواجهه ونحن نتقدم نحو المزيد من كشف أزمة (أزمات) التواصل في مرحلة تطور الإنسان المعاصر، هو مأزق تناول العلاقات البشرية بعد أن بلغ هذا الكائن الحد الشقي الرائع: هذه الدرجة من الوعاء بنفسه، وبضرورة الآخر شرطاً لتواجده بشراً سويماً، أو ما يسمونه عادة الحب، وبين ما أسميه جدل الموت والحياة

أن تعرية العلاقات المسماة "العبء" حتى النخاع هكذا، تنتهي إلى ما يشير إلى ياسر ما، أو قل إلى إيهاء باستحالة أن يتحارب البشر فيما بينهم بما وصلوا إليه من أزمة "الوعي، والوعي بالوعي": بما يشمل "مسئولية المشاركة في جدل نمو الإنسان فرداً ونوعاً

اكتشفت أن تناول [إشكالة العلاقات البشرية من خلال هذا المتن تحتاج إلى توضيح مبدئي، وإن بدا مكرراً، قبل المضدّ قداماً ذلك: رحبت أكتب مقدمة لهذه الحالة الخامسة فإذا بها تصلح مقدمة للعمل كله:

مقدمة: نلتقى حين نسعى

[حظت حتى الآن - للأسف - أن تعرية العلاقات المسماة "الحب" حتى النخاع هكذا، تنتهي إلى ما يشير إلى يأسٍ ما، أو قل إلى إحياء باستحالة أن يتحاب البشر فيما بينهم بما وصلوا إليه من أزمة "الوعي، والوعي بالوعي": بما يشمل "مسئولية المشاركة في جدل نمو الإنسان فرداً ونوعاً". فكرت أن أتوقف عن التماهى في توصيل رسائل مثل هذه قد تحمل في ظاهرها جرعة من اليأس أو العجز لم أقصدها، قلت أنبه القارئ ببعض التوصيات التي قد تعيننا على توضيح ما قصدت إليه من هذه المحاولة هكذا:

أولاً: أن يتذكر القارئ أنها محاولة لفك شفرة النص البشري، أو لعلها "تقد النص البشري" كما يغلب على حالياً، توصيف ما أكتبه فيه، وما أمارسه فهو ليس حُكماً دامغاً.

ثانياً: أن هذا العمل مرتبط بنص محدد هو متن شعري كتب منذ نحو 40 سنة، وينشر الآن كما هو [ما ندر من تصحيح شكله لجملة أو تحديث محدود في شطر، ذلك أئذٍ راعيت أن أى تغيير في المتن أكثر من ذلك هو تجاوز في مبرر له.

ثالثاً: إن أعمال الكاتب تكمل بعضها بعضاً، فإذا وصلت رسالة مثل الرسالة الحالية بها هذا القدر من التعرية لدرجة التلويع باليأس أو [استحالة، فهو ليست فصل الخطاب، فهو مثل حروف وأرقام الشفرة (الكلمة المفتاح في بريدك الإلكتروني/ أو "مِيلِك" مثلاً) يمكن أن تفتح الشفرة [باكتمال إدخال الكلمة المفتاح حرفاً رقماً.

رابعاً: أن يتحمل مع القارئ قدراً من التكرار، [أريد أن ألزم نفسي بتجنبه في المرحلة الحالية. تُرى: هل يستطيع القارئ أن "يلقى الحكم" (بلغة الفينومينولوجيا)، فيضع رأيه بين قوسين حتى ينتهي من قراءة مجمل كل حالة، والأصعب والأهم: حتى ينتهي من قراءة العمل كله، [3] والأصعب جداً: حتى يلم بما يكمله من أعمال الكاتب الأخرى؟

إن ما أحاول توصيله [ينتهي بحكم يحتاج إلى تعليق (تعليق الحكم) بقدر ما هو دعوة لتحريك الوعد في اتجاه أرى أنه يصلح أن يجمعنا معاً كلما مضينا قدماً أكثر فأكثر، وعندى يقين بأننا نلتقى حين نسعى إلى أن نلتقى، قبل أن نلتق فعلًا (انظر بعد)

المستويات (الأولى) للتجاذب البشري:

ذكرنا أن هذه القصيدة إنما تقوم بتعرية المستويات الأولى للتجاذب البشري:

المستوى الأول: الجذب النداء، و[نجذاب الذاهل.

المستوى الثاني: اللذة المشتركة بعض الوقت.

المستوى الثالث: اللعب الحر معاً - أحياناً.

هذه القصيدة تُظهر بعض التعدد المتداخل في محاولة عمل علاقة حب: حيث يظهر أن مستوى صفة الغواية الخارجية، هو السائد على حساب أى تطور للحوار الأعماق والأكثر تكاملاً، وقد حذرنا من الميل إلى شجب هذه المستويات البدئية، اللهم [إذا طغت حتى نخطئ على فرص التبادل والجدل مع سائر المستويات النابضة الأخرى، كما سوف نتبين مثل ذلك في هذه القصيدة، وبالذات قرب نهايتها، فنهايتها:

في بداية هذه القصيدة، يبدو أن التركيز كان على مستوى الجذب و[نجذاب، وهو ما يُسمّى

أحياناً الكيمياء الوجدانية المتبادلة، وهو مستوى - كما أشرنا - ليس مرفوضاً من حيث المبدأ، بل لعله

أنها محاولة لفك شفرة النص البشري، أو لعلها "تقد النص البشري" كما يغلب على حالياً، توصيف ما أكتبه فيه، وما أمارسه فهو ليس حُكماً دامغاً

هذه القصيدة إنما تقوم بتعرية

المستويات الأولى للتجاذب

البشري:

المستوى الأول: الجذب النداء،

والانجذاب الذاهل.

المستوى الثاني: اللذة

المشتركة بعض الوقت.

المستوى الثالث: اللعب الحر

معاً - أحياناً

أن مستوى صفة الغواية

الخارجية، هو السائد على

حساب أى تطور للحوار الأعماق

والأكثر تكاملاً، وقد حذرنا من

الميل إلى شجب هذه

المستويات البدئية، اللهم إلا

إذا طغت حتى نخطئ على

فرص التبادل والجدل مع سائر

المستويات النابضة الأخرى

بداية مهمة ☐ غذب عنها، ويبدو أن وسائل الجذب كانت تبدو فاعلة ف☐ بداية القصيدة، لدرجة ثقة النداهة بسحرها القادر على ☐ جذب السائر على☐ شط التربة، حتى تسحبه إلى☐ غير رجعة (هذا ما يُحك ☐ عن “الجنّية النداهة” ف☐ بلدنا، وهو بعض ما استلهمه يوسف إدريس ف☐ قصته “النداهة”^[4]. وهو ما خالغ صاحبنا من أن هذا الجذب الساحر، يحمل وراءه ☐ اختفاء الغامض.

القصيدة هنا تبدأ بتعريف هذا المستوى من النداء والغواية، وهو مستوى قد يقابله بعض بدايات التعاقد ف☐ العلاج النفس☐، الذي قد يتم بشكل مباشر أو غير مباشر بين معالج له حضور قوى يبعث على الثقة، وبين مريض يحتاج هذه الثقة فيستجيب لها بسرعة، وبأقل قدر من الشروط والحذر:

رجاء: أوصد أ☐ يقرأ هذا الجزء إ☐ من يريد أن يقرأه!!! (شكراً)

قصيدة : قلب الخساية (سابقاً: النداهة)

(1)

وعيون مكحولة مندّية.

تسحر وتشد.

منديلها على وش الميتة

مستنى تمد:

إيدك، تسحبها تروح فيها،

☐ مين شاف حد.

☐يد أن لحكاية أو أسطورة النداهة أصل شديد الغور ف☐ النفس الإنسانية، أسطورة النداهة من الأساطير الريفية المصرية، حيث يزعم الفلاحون أنها امرأة جميلة جدا وغريبة تظهر في الليالي الظلماء في الحقول، لتنادي باسم شخص معين، فيقوم هذا الشخص مسحورا ويتبع النداء إ☐ أن يصل إليها، ثم يجدونه ميتا في اليوم التالي، أو يلقونه وهو يهيم على☐ وجهه جنونا، وقد يُسخط حيوانا عقابا له أنه انجذب لهذه النداهة الغاوية ف☐ عالمها السف☐ بعد أن شدته إليه بغوايتها.

(2)

ماتكونشى يا واد النداهة؟

حركات الجنّية اياها؟

أنا خايف مالى مانيش عازفة.

أنا شايف إالى مانيش شايفة.

وتلاحظ خوفى تطمنى.

وتقولى كلام، قال إيه يعنى :

ماتبصش جوة بزيادة،

خليك عالقذ.

شوف حركة عودى الميادة،

شوف لون الخذ

هذه القصيدة ☐ تستوح ☐ أسطورة النداهة إ☐ من حيث هذا ☐نجذاب المسحور إ☐ النداء، ذلك لأنه

ف☐ حين تؤكد الأسطورة على☐ أنه حين يقترب صاحبنا من السطح، يكون منجذبا انجذابا خالصا لسحر الغواية، وهو يبدو أنه يريد ما وراء ذلك بشكل ذاهل، نلاحظ ف☐ هذه القصيدة من البداية أنه منجذب بقدر ما هو خائف، يقترب ويرجو ما تحت السطح، فتبتهه الغاوية أن الصفة ينبغ☐ أن تقتصر على☐ هذا المستوى الخارج☐، وأن عليه أ☐ يتجاوز الحدود، وأنه غير مسموح له أن يخطو إ☐ ما بعد السطح) ما تبصش جوة بزيادة، (ولتحقيق ذلك تذكره بجمال خارجها، وميادة عودها، ووردية خودها...

أن التركيز كان على مستوى
الجذب والانجذاب، وهو ما
يُسمّى أحيانا الكيمياء
الوجدانية المتبادلة، وهو
مستوى - كما أشرنا - ليس
مرفوضا من حيث المبدأ، بل
لعله بداية مهمة لا تخفى عننا

القصيدة هنا تبدأ بتعريف هذا
المستوى من النداء والغواية،
وهو مستوى قد يقابله بعض
بدايات التعاقد في العلاج
النفسى، الذي قد يتم بشكل
مباشر أو غير مباشر بين معالج
له حضور قوى يبعث على
الثقة، وبين مريض يحتاج هذه
الثقة فيستجيب لها بسرعة،
وبأقل قدر من الشروط والحذر

أسطورة النداهة من الأساطير
الريفية المصرية، حيث يزعم
الفلاحون أنها امرأة جميلة جدا
وغريبة تظهر في الليالي
الظلماء في الحقول، لتنادي
باسم شخص معين، فيقوم هذا
الشخص مسحورا ويتبع النداء
إلى أن يصل إليها، ثم يجدونه
ميتا في اليوم التالي، أو يلقونه
وهو يهيم على وجهه جنونا.

إلخ.

هو يستمع إلّا كل ذلك، لكن يأتيه همسٌ من أعماقها، يناديه بلغة أخرى، وكأنه يستغل هذا الجذب المبدئ ليتعرف من وراء الظاهر إلّا طبقة أكثر عمقا وتلقائية، وأقل صفقاتية وذهوًا، وكأن على من يحاول أن يواصل حركية جدل العلاقة، أن يستوعب مستوى الجذب ليتجاوزه وهو يحتويه، لينطلق منه إلى نكوص مشروع، ولعب حر، وهو ما تعنيه هذه الفقرة من: تنشيط ما بالداخل من جاذبية الطفولة، وتلقائية الفطرة، وحلاوة اللعب، وبهذا نقترّب من المستوى الثالث والثالث (اللذة المشتركة، واللعب الحر معا) مع الحذر الواجب من احتمال التوقف عند الجذب وإلّنجذاب واللذة المنفصلة.

(3)

وأحس بهمس اللي معاها،

أنوى أقرب.

وأشوف الثانية جواها،

أحلى وأطيب.

والخوف يغالبني من اياها،

لأ، مش حاهرب.

هذه الأخرى التّ تتاديه من عمق أبعد من جذب منديل السطح، ربما هـ الفطرة عروس البحر، ولكن من يضمن له إذ يتقدم إلّا هذا العمق الأجل أن تستول عليه النداهة المرتبطة بالمنديل السطح، فيختف فيها ومعها دون أن يكمل مشوار الحب التكامل الجدل، وحين يستشعر هذا الخطر، وتراوده فكرة التراجع يجد أنه سبيل إلّا ذلك إن أراد لجدل العلاقة أن يتواصل، فيقرر أن يواصل: فيتراجع عن التراجع: لأ مش حاهرب

استجابة لهذا التصميم يأتيه نداء الداخل، مع الحذر المناسب من اقتراب.

“مستنّى تمدّ:

إيدك تسحبها تروح فيها،

و مين شاف حد“

الحب بقدر ما فيه من سعٍ نحو ما هو “قرب”، فيه قدر مساوٍ - وأحيانا أزيد - من: “الخوف” من “القرب”.

يسرى ذلك علّا من يقترّب، وعلّا من يستجيب لمحاولة الاقتراب.

والطفلة تشاور وتعاقر،

بتقرب، وإ بتأخر؟

وانّ مديت إيدى ناحيتها، بتخاف وتكش.

والثانية تنط تخلّيها: تهرب في العش.

دى غيامة كذب وتغطيّة، ومؤامرة غش.

الوعاء الداخل: الفطرة المستجيبة، ضعيفة بطبيعتها، بقدر ما هـ جميلة بتلقائيتها.

الظاهر الجاذب المكتف بهذا المستوى حدّا لو كان ااختفاء فـ الذهول هو نهايته، يتزحزح عن محاولته إفساد أية خطوة تحاول تجاوزه إلّا داخل الداخل الصادق الواعد، بل إنه يكبت هذه المحاولة الأعمق حدّا تتسحب الذات الأجل والأعمق علّا أثر التخويف من اقتراب الحقيقة، وبمزيد من الإغراء باستكفاء بظاهر الجذب فالنجذاب، وهما ليسا إلّا بديلا عن حقيقة العلاقة وعمقها، ومن ثم يبلغنا كـ نفهم كيف أن هذا الإبدال أو التوقف ليس إلّا: “غيامة كذب وتغطيّة، ومؤامرة غش”.

مع تواصل السعٍ إلّا الحوار والجدل مع المستوى الأعمق والأجل، يفشل جذب الانسحاب، فهو

وقد يُستط حيوانا محابا له أنه
انجذب لهذه النداهة الغاوية
فى عالمها السفلى بعد أن
شدته إليه بغوايتها.

هذه القصيدة لا تستوحى
أسطورة النداهة إلا من حيث
هذا الانجذاب المسعور إلى
النداء

حين يقترّب صاحبنا من السطح،
يكون منجذبا انجذابا خالصا
لسعر الغواية، وهو يبدو أنه
يريد ما وراء ذلك بشكل
ذاهل

نلاحظ فى هذه القصيدة من
البداية أنه منجذب بقدر ما
هو خائف، يقترّب ويرجو ما
تحت السطح، فتنبه الغاوية أن
الصفتة ينبغى أن تقتصر على
هذا المستوى الخارجى، وأن
عليه ألا يتجاوز الحدود، وأنه
خير مسموح له أن يخطو إلى ما
بعد السطح

كأن على من يحاول أن يواصل
حركية جدل العلاقة، أن
يستوعب مستوى الجذب

ليتجاوزوه وهو يحتويه، لينطلق
منه إلى نكوص مشروع، ولعب
حر

الحب بقدر ما فيه من سعي
نحو ما هو "قرب"، فيه قدر
مساوٍ - وأحياناً أزيد - من:
"الخوف" من "القرب".

الوعي الداخلي: الفطرة
المستجيبة، ضعيفة بطبيعتها،
بقدر ما هي جميلة بتلقائيتها.

مع تواصل السعي إلى الحوار
والجدل مع المستوى الأعمق
والأجمل، يفشل جذب الانسحاب،
فهو لا يصدق أن المستوى
الأعمق غير موجود، أو كان
وهما، بل هو يعلن أن "حلوة
الداخل" لم تمت، لأنها لا
تموت، مهما بحدت أو اختفت

إن علاقة الحب الحقيقية هي
حب لكل المستويات، بكل
المستويات، بما هي ذلك حب
الغاوية السطحية، ولو بابا إلى

يصدق أن المستوى الأعمق غير موجود، أو كان وهما، بل هو يعلن أن "حلوة الداخل" لم تمت، لأنها □
تموت، مهما بحدت أو اختفت.

(4)

وما صدقتي،

□ اسلمتني،

أنا واثق إنها ما متتشي

أنا سامع همس الماسكتشي

مش حاجي، لو هيه ما جاتشي.

فهو يواصل الإنصات، ويشترط لمواصلة الحوار (الحب) وجودها الأصل الصادق: ليكمل معها ه □
وليست بدليتها على السطح.

"أنا سامع همس الماسكتشي."

تلك الأخرى - على السطح - تتصور أنه وهو يقترب، يقترب منها ه □، استجابة لغوايتها، لكنه

ينبها، وربما ينبه نفسه أنه:

"مش حاجي لو هيا ما جاتشي"

هذا موقف حاسم: مهما بدا إغراء جذب السطح.

تنبيه واجب هنا:

• إن المسألة ه □ ليست "إما .. أو"، اللهم إ □ إذا أصر "السطح" على استبعاد كل ما عداه، وهذا
نادر إ □ في بعض اضطرابات الشخصية القسوى.

• إن علاقة الحب الحقيقية ه □ حب لكل المستويات، بكل المستويات، بما في ذلك حب الغاوية
السطحية، ولو بابا إلى العمق، ولكن الت □ على السطح هنا □ تعترف إ □ بنفسها، ولو وصل الأمر إ □
تفضيل أن "تلعب حيا" يد □ من "أن تحب"، ها ه □ تتبرى لتحول بينهما، بين داخلها الحر الجميل،
والساع □ إ □ حب حقيقة □، وهو تحول دون اقترابه رغما عنها بالمنع والتحذير والتشريط:

(5)

-جرى إيه يا أخينا؟ على فين؟

حائصتي الناييم؟ بضمان إيه؟

جرى إيه؟

مش عاجبك رسمي لإحواجي، □ لئون الروج؟

مش عاجبك تذكرة الترسو، □ حتى اللوج؟

ما كفاكشي زواق الباب؟

هيا وكالة من غير بواب؟

هذه الغاوية على السطح إنما تعلن وصايتها على سائر المستويات، معترضه على مواصلة السع □،
فهم تدافع عن مشروعية الوجبات السريعة وتلوج □ كنفاء بلذتها، وربما نستشهد قياسا أنه: "إيش
رماك على أن تلعب حبا، قال قلة الحب". هذه الت □ على السطح تريد ضمانا (بضمان إيه؟)، وه □ مهما
قدم لها من ضمانات (بما في ذلك ورقة الزواج أيضا (لن تسلّم - طالما ه □ منفصلة هكذا - و هي □
تسمح لجميعها أن يشاركوا في العلاقة المتعددة المستويات، أي في علاقة حب. وليس لعبة حب، فهم □
تتعجب من عدم رضاه بكل ما فعلته لإغوائه ليكنف □ بهذا الظاهر) ما كفاكشي زواق الباب، هيا وكالة
من غير بواب؟)

وقفة:

ماذا يحدث في العلاج النفسي؟

على أي مستوى تتم العلاقة؟

بصراحة، إن العلاقات (العلاجات) المطروحة على مستوى الاقتصار على الإيحاء والطمأننة والتسكين (بالعقائير أو بدونها) هي أقرب إلى مستوى الغواية والجدب والنجذاب، نزع من نهايتها هي بالذهول أو العدم مثلما هو الحال في أصل أسطورة النداهة، وإنما قد تكون نهايتها هي توقف مسيرة النضج. تواصل العلاج النفسي الأعمق الذي قد يرتق بالعلاقة إلى هذا التحاور على هذا المستوى الأعمق، هو الذي يحفز النمو ويطلق جدل التطور بحيث يتم إعادة التشكيل فالإبداع والنمو من خلال أزمة المرض ما أمكن ذلك.

لماذا يخاف أغلب المرضى من المضدّ عندما إلاّ أبعد من النهار والتسليم فيما يسمّى العلاج التسكين؟ يوجد علاج حقيقيّ فيه إطلاق نمو أو إعادة تشكيل إلى ويمر المريض فيه بما نسميه "مأزق التغيير" بكل مخاطره وصعوباته والتهديد بمضاعفاته، من هنا، وبالذات في العلاج الجمعيّ، يكون الحذر والتحذير، مصاحب بالخوف والتخويف، وكثيرا ما يتمادى هذا الخوف والحذر إلى ظهور آليات دفاع أكثر حدة تجمّد مسيرة النمو، فينقطع العلاج فجأة، أو تنتقل الزملة المرضية إلى زملة أكثر صلابة وأقدر مقاومة.

إن الزملاء الذين يبدؤون بالتسكين، وأحيانا يسمونه الطمأنينة، وينتهون بالتسكين، مفضلين "السلامة" أولًا وأخيرا (وأن الطيب أحسن) ينتمون إلى مسيرة النمو من خلال العلاج، وربما إلى مسيرة النمو برمته، لأنه يوجد نمو دون آلام ومخاطر من حيث المبدأ، لكن للهروب مبرراته:

أنا مش ناقصة التقلية ديّة،

ولا فيش جوائ "المش هيّة"،

ولا فيه بنوّة بمرايلها،

ولا فيه عيل ماسك ديلها،

وبرغم كل ذلك التحذير والإنكار والمحو، فالطبيعة البشرية هي الطبيعة البشرية، وهكذا يستمر النداء الخفيّ، مع تواصل إصرار حفز النمو، فيتواصل بالمقابل التحذير، وبحل الصد وإعلان الدفاعات المانعة من التواصل، محل الجذب الذي يثبت من خلال ذلك أنه يريد أن يستكشف بعلاقات الجذب والغواية السطحية حتّى لو كان "كنظام الحب" وليس "الحب".

(6)

إوعى تخطّى، أبعد منى، حائلقى الهؤ.

البيت دا مالوهشى اصحاب.

دول سافروا قبل ما ييجوا.

من يوم ما بنينا السد.

السد الجوانى التانى.

وان كان مش عاجبك، سدّى البرانى.

تبقى فقسست اللعبة،

ومانيش عبة.

هنا وقفة مهمة:

إن العلاقات البشرية تنبذ على أساس سلامة لبنات التواصل الأولى التي توضع في محلها، منذ الطفولة توضع في وقتها، لغرضها، وهي التي يبنى بها بيت الثقة الأساسية فالكيان النابض النامي. إن التّ (أو الذى) تستطيع أن تطلق داخلها ليشارك في (ليستقل ب) عملية الحب، بد أن

لكن التي على السطح هذا لا تعترف إلا بنفسها، ولو وصل الأمر إلى تفضيل أن "تلعب حبا" بدلا من "أن تحب"، ها هي تنبرى لتحول بينهما، بين داخلها الحر الجميل، والسماعي إلى حب حقيقي، وهو تحول دون اقتربها ربحا عنها بالمنع والتحذير والتشريط

هذه الغاوية على السطح إنما تعلن وصايتها على سائر المستويات. معترضه على مواصلة السعي، فهي تدافع عن مشروعيتها الوجدانية السريعة وتلوح بالاختفاء بلذتها، وربما نستشهد قياسا أنه: "إيش رهالك على أن تلعب حبا، قال قلة الحب

إن العلاقات (العلاجات)

المطروحة على مستوى الاقتصار على الإيحاء والطمأننة والتسكين (بالعقائير أو بدونها) هي

أقرب إلى مستوى الغواية
والجذب والانجذاب

تواصل العلاج النفسى الأعمق
الذى قد يرتقى بالعلاقة إلى
هذا التمازج على هذا
المستوى الأعمق، هو الذى
يعجز النمو ويطلق جدل التطور
بعبء يتم إعادة التشكيل
فالإبداع والنمو من خلال أزمة
المرض ما أمكن ذلك

لماذا يضاف أتلج المرضى من
المضى قدما إلى أبعد من
الانجذاب والتسليم فيما يسمى
العلاج التكيينى؟

لا يوجد علاج حقيقى فيه إطلاق
نمو أو إعادة تشكيل إلا وبمر
المريض فيه بما نسميه "أزرق
التغيير" بكل مخاطره
وصعوباته والتهديد
بمضاعفاته، من هنا، وبالذات
فى العلاج الجمعى،

إن الزلاء الذين يبداون
بالتسكين، وأحيانا يسمونه
الطمأنينة، وينتمون بالتسكين،
مفضلين "السلامة" أولا وأخيرا
(وأن الطبيب أحسن) لا ينتمون
إلى مسيرة النمو من خلال

تكون قد اطمأنت طفلةً) ثم بعد ذلك فـ [] أى []دة جديدة فـ [] أزمات النمو ([] أنها ليست وحيدة، []
أنها جزء من آخرين يريدونها ويعترفون بها فتريدهم وتعترف بهم، هكذا تتاح لها الفرصة أن تبنى نفسها
"بيتا) "وليس لنفسها بيتا)، بيتا له أصحاب، هى أولهم، وليست آخرهم.

فالقصيدة هنا وهـ [] تعرى هذا الخواء الداخـ []: البيت دا ما لوهشى اصحاب "إنما تعلن سبب هذا
الهروب الكبير، وتعرى إحلال المنديل على [] سطح التربة، محل جنية البحر الطفلة الفطرة الجميلة،
"البيت" ليس له أصحاب لأنهم كانوا أشباحا لم يحضروا واقعا مغدّيا أمنا أبدا، وهم مهما تحركوا إنما
يلعبون لعبة تشبه الحياة، تشبه الحب، تشبه التواصل، يلعبونها سرا مع أنفسهم، ويختفون قبل أن يظهروا.
"دول سافروا قبل ما ييجوا"

لكن هل يعقل أن يبنـ [] طفلا ذاته (بيته) دون أن "ينتمـ [] أصلا؟
وكيف ينتمـ [] وهو منذ وُجد لم تواجهه [] الحواجز التـ [] أقيمت لتحول دون التواصل الحقيقى [] القبول
و[] اعتراف والأخذ والعطاء (فحالت هذه الحواجز فعلا منذ البداية، بل قبل البداية، دون إلقاء بذرة الحب
التـ [] يمكن أن توتـ [] أكلها كل حين "حبا حقيقيا متجددا"؟ ذلك الحب المتعدد المستويات الذى حيل بينه
وبين أن يتنامـ [] بواسطة تلك التـ [] أدت إلـ [] الميكانيزمات ([] استغناء عنه (بإقامة السدود، ليس فقط سد
الغواية البرانية البديلة عن العلاقة، وإنما السد الجوانى الثانى، وهو الذى يشير إلى عدم الأمان الأولى.
إذن: فالحاجز الذى تقيمه بالغواية كان حاجزا احتياطيا ليحول دون العلاقة المتكاملة، وهو لم بعد هو
السبب الأساسـ [] فـ [] الإعاقـ [] الحالية، وإنما يرجع السبب إلـ [] الحاجز القديم "السد الجوانى الثانى"، أما
هذا السد البرانـ []، فكل المطلوب منه هو أن يقوم باللازم ليحقق المراد الجزئـ [] فـ [] وجبة سريعة، أو فى
واجبات رسمية راتية، كنظام الوجبات المستخرجة من "الدب فريزر على طول المدى (الزواج الساكن
الخامد. (دون أن يكون بداية لنبض جدلـ [] تصعيدى منتظم إلـ [] المستويات فيكتفـ [] بهذا، وهذا المستوى
هو يقلل أيضا مستوى العلاج النفسـ [] التسكينـ []، مع إجهاض كل ما هو غير ذلك.
تنتهـ [] القصيدة الحالية بتوصية ساخرة، بنكوص هروبـ [] أيضا بديلا عن مسيرة النمو، وربما يكون هذا
أكثر تمثيلا لمستوى العلاقة التـ [] أسميناها "اللذة المشتركة بعض الوقت) "المستوى الثانى)، وهو ليس
أفضل كثيرا من مستوى الجذب و[] نجذاب، فهو جاهز لتوقيف مسيرة النمو أيضا:

(7)

دور على واحدة تكون هبله،

بشورق من حصوة نبله.

تديك قلب الخساية!!

ومالكشى دعوة بجوايا

.....

يا ما كان نفسى،

بس ياروخ قلبى "ما يحكمشى".

يبدو أن من يريد أن يحب، و[] يكتفـ [] بأن "يلعب حبا"، عليه أن يغامر بأن يعطـ [] ويأخذ" قلب
الخساية "و[] يكتفـ [] بأوراقها أو رأسها.

ولكن هل يكون للخساية قلب [] إذا أحاطته كل هذه الأوراق التى ذبلت وجفت من فرط قيامها
بدورها الرائع فى الحماية والدفاعات؟ إن من يريد أن يلقي بهذه الأوراق الصلبة ليكتفى بقلب الخساية
هو أيضا ليس محبا، وإنما هو قناص مستسهل.
وبعد (مرة أخرى):

خيل إلـ [] أن المسألة أصبحت أصعب .ليكن.

قلنا من البداية، حتّى لو لم يكن لدينا بديل: نستعمل الواقع (الخطأ)، نستسلم له، ونرفضه ونحن نستعمله حتى نغيره.

فهل نستطيع ذلك فى مسألة الحب هذه؟ (ربما مثلها مثل مسألة الديمقراطية والحرية والمال، وأشياء أخرى كثيرة)، وإذا لم نستطع فهل يمكن أن نرضى بالموجود باعتباره النقص الواجب الدافع للحريك؟ أم نستسلم له باعتباره البديل الدائم طالما يوجد غيره؟ ترى هل أصبحت المسألة أسهل أم أصعب؟

هل نشتغل فى المستحيل ليكون ممكناً؟ أم نستسلم للممكن ليصبح استمراره مستحيلاً؟
جدلية المقابلة الكلينيكية فالعلاج النفسى تخوض فى كل ذلك وتُعرِّية، لتتجح فى إرساء علاقة إيجابية ناضجة برغم كل هذه الأعياب والمناورات.

وبعد

ها هو المتن متكاملًا لمن شاء أن يتخلص من وصاية الشرح والتنظير.

(1)

وعيون مكحولة منديّة،
تسجّر وتشد.
منديلها على وش المية
مستنى تمد:
إيدك، تسحبها تروخ فيها،
ولّ مين شاف حدّ.

(2)

ماتكونشى يا واد النذاهة؟
حركات الجنية اياها؟

.....

أنا خايف مالى مانيش عازفة.
أنا شايف إالى مانيش شايفة.
وتلاحظ خوفى تطمنى.
وتقولى كلام، قال إيه يعنى:
ماتبصش جوة بزيادة،
خلىك عالقذ.

شوف حركة عودى الميادة،
شوف لون الخذ

(3)

وأحس بهمس اللى معاها،
أنوى أقرب.
وأشوف الثانية جواها،
أحلى وأطيب.
والخوف يغالبنى من اياها،
لأ، مش حاهرب.
والطفلة تشاور وتعاقر،

العلاج، وربما إلى مسيرة النمو برمتها، لأنه لا يوجد نمو دون الألم ومخاطر من حيث المبدأ، لكن للهروب مبرراته

الطبيعة البشرية هي الطبيعة البشرية، وهكذا يستمر النداء الخفى، مع تواصل إصرار حفز النمو، فيتواصل بالمقابل التحذير، ويحل الصد وإعلان الدفاعات المانعة من التواصل، محل الجذب

إن العلاقات البشرية تنبنى على أساس سلامة لبناء التواصل الأولى التى توخى فى محلها، منذ الطفولة توخى فى وقتها، لغرضها، وهى التى يبني بها بيوت الثقة الأساسية فالكيان النابض النامى

القصيد هنا وهى تعرى هذا الخواء الداخلى: "البيت دا ما لوهشى اصحابه" إنما تعلن سبب هذا الصروب الكبير، وتعريّ إحلال المنديل على سطح الترمعة، محل جنية البحر الطفلة الفطرة الجميلة

بتقرب، و[] بتأخر؟
وان مديت إيدى ناحيتها، بتخاف وتكش.
والتانية تنط تخليها: تهرب فى العش.
دى غيامة كذب وتغطية، ومؤامرة عش.

(4)

وماصدقشى،
و[] اسلمشى،
أنا واثق إنها ما متتشى
أنا سامع همس الماسكششى
مش حاجى، لو هيه ما جاتشى.

(5)

-جرى إيه يا أخينا؟ على فين؟
حائصخى الناييم؟ بضمأن إيه؟
جَرى إيه؟
مش عاجبك رسمى لحواجبى، و[] لُونُ الرُوج؟
مش عاجبك تذكرة الترسو، و[] حتى اللوج؟
ما كفاكشى زواق الباب؟
هيه وكالة من غير بواب؟
أنا مش ناقصة التقلية دية،
و[] فيش جوائى "المش هيه"،
و[] فيه بنوتة بمرأيها،
و[] فيه عيل ماسك ديلها،

(6)

إوعى تخطى، أبعد منى، حاتلقى الهو.
البيت دا مالوهشى اصحاب.
دُون سافروا قَبْل ما ييجوا.
من يوم ما بنينا السد.
السد الجوانى التانى.
وان كان مش عاجبك، سدى البرانى.
تبقى فقسست اللعبة،
ومانيش [] عبة.

(7)

دور على واحدة تكون هبله،
بشورق من حصوة نبله.
تديك قلب الخساية!!
ومالكشى دعوة بجوايا

.....

يا ما كان نفسى،

إذن: فالعاجز الذي تقيمه
بالغواية كان حاجزا احتياطيا
ليحول دون العلاقة المتكاملة،
وهو لم يعد هو السبب
الأساسى فى الإحاطة الحالية،
وإنما يرجع السبب إلى العاجز
القديم "السد الجوانى التانى

تنتهى القصيدة الحالية بتوصية
ساخرة، بنكوص هروبوى أيضا
بدلا عن مسيرة النمو. وربما
يكون هذا أكثر تمثيلا
لمستوى العلاقة التى أسميناها
"اللذة المشتركة بعض الوقت"
(المستوى الثانى)، وهو ليس
أفضل كثيرا من مستوى
ال جذب والانبجاذ، فهو جاهز
لتوقيفه مسيرة النمو أيضا

يبدو أن من يريد أن يحب، ولا
يكتفى بأن "يلعب حبا"، عليه
أن يغامر بأن يعطى ويأخذ

وبعد

هل يقبل الطبيب (المعالج) النفس أن يغامر بعلاقة فيها كل هذه الألعاب والحوارات، والمحاولات، والتراجعات، والإقدام، لكن كل هذا مطلوب إذا صدق العلاج وسمح لمستويات الوجود كلها أن تتجادل) فهو النمو والإبداع “ربذ” كما خلقتنا”، “اجتمعا عليه وافترقا عليه.”
أثناء مراجعتنا لهذه القصيدة شعرت بصعوبة ما أرادت توصيله، وخشيت أن يكون الشرح قد طمس نبض الشعر وأحمد تحريكه، فقررت الإقدام على هذه المغامرة مع دعوة من القارئ أن يعيد قراءة القصيدة دون وصاية لشرح!!

عذراً، وشكراً.

.....

.....

(ونواصل الأسبوع القادم)

هل يكون للخساية قلب إلا إذا
أحاطته كل هذه الأوراق التي
ذبلت وجفت من فوط قيامها
بدورها الرائع في الحماية
والدفاع؟ إن من يريد أن
يلقى بهذه الأوراق الصلبة
ليكتفى بقلب الخساية هو أيضا
ليس محبا، وإنما هو قناص
مستسلم

- [1] انتهيت من مراجعة أصول “الطبنفسى الإيقاعى التطورى” وهو من ثلاث كتب: وسوف نواصل النشر البطيء آملًا في حوار، وهو (تحت الطبع) ورقيا، إلكترونيا حاليا بالموقع www.rakhawy.net: وهذه النشرة هي استمرار لما نشر من الكتاب الثانى: “المقابلة الكلينيكية: بحث علمى بمهارة فنية.”
- [2] سبق أن نزلت بعض أبيات هذه القصيدة فى الديوان (أغوار النفس) (مؤخراً 2017 بعنوان “قلب الخساية” لكننى تراجعته وغيّتُ أفضل هذا العنوان الأصلى “النداهة”
- [3] وقد توزّع بين أربعة كتب! (انظر هامش 74)
- [4] يوسف إدريس “النداهة”، سلسلة “رواية الهلال”، دار الهلال، 1969 - القاهرة.

إرتباط كامل النص مع المقتطفات:

<http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakD290522.pdf>

إرتباط كامل النص

<https://rakhawy.net/%d9%85%d9%82%d8%aa%d8%b7%d9%81%d8%a7%d8%aa-%d9%85%d9%86-%d8%a7%d9%84%d8%b7%d8%a8%d9%86%d9%81%d8%b3%d9%89-%d8%a7%d9%84%d8%a5%d9%8a%d9%82%d8%a7%d8%b9%d8%ad%d9%8a%d9%88%d9%89-%d8%a7%d9%84%d8%aa-20/>

شبكة العلوم النفسية العربية

نحو تعاون عربي رقبيا بعلوم وطب النفس

الموقع العلمي

<http://www.arabpsynet.com/>

المتجر الإلكتروني

<http://www.arabpsyfound.com>

الكتاب السنوي 2022 1 " شبكة العلوم النفسية العربية " (الصدار الحادي عشر)

الشبكة تدخل عامها 22 من التأسيس و 19 على الوجود

22 عاما من التحدي... 19 عاما من الإنجازات

<http://www.arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynet.pdf>